وها نحن أبناء هذا العصر، وبيننا وبين بابل هوّة سحيقة من الدهور، نظنّنا اجترحنا معجزة ما أتى بمثلها البابليـون ولا الفرس ولا المصريون ولا الروم ولا الرومان ولا العرب ولا أهل الهنـد والسنـد وجميـع الجزر المنثـورة في عـرض البحار. ومعجزتنا هي هذه المدنيّة التي بنيناها لبنة إلى لبنة ولبنة فوق لبنة، حتى غمر الأرض ظلّها وتغلغلت في كبد السماء أنوارها. بنيناها مـن أنقـاض سـائـر المدنيـات التي سبقتها، ثمّ زدنا عليها من الزخارف ما لم تشهد نظيره الأرض منذ فجر الزمان. بنيناها وما نزال نبنيها بلحومنا وعظامنا. وشددناها وما نزال نشـدّهـا بعضهـا إلى بعـض بدموعنا ودمائنا. ولكن خلافاً عظيماً نشب بين البنّائين حول لون البناء كيف يكون، وحول باب البناء كيف يتجه. أيكون اللون أحمر فاقعاً، أم أصفر باهتاً، أم أزرق سماويّاً، أم أغبر رماديّاً، إلى آخر ما هنالك من ألوان؟ ثمّ أيتجه باب البناء إلى «أعلى» أم يتجه إلى «أسفل» ـ إلى السماء أم إلى الأرض ـ إلى بجبوحة الروح والقلب أم إلى بجبوحة البطن والجيب؟

وانتقل الخلاف إلى الحراس. فهذا الحارس يتّهم ذاك بأنّه ينام عن حراسة البناء فهو لا يصلح للحراسة. وذاك يتّهم هذا بأنّه يُدخل خلسة إلى البناء عناصر دأبها الهدم